البنية العاملية في خطاب ابن عربي الشعري

ترجمان الأشواق نموذجا

الدكتورة: شريفي فاطمة

جامعة تيارت ـ الجزائر

تسعى السيميائيات إلى قراءة أو مقاربة النصوص الأدبية، وذلك من خلال الكشف عن التجليات الدلالية وكذلك البنى التي تقوم عليها، مع إعطاء ذلك البعد الدلالي للنص، الذي يحوي المعنى الإشاري والمعنى الإيحائي المتخيل أو المحتمل- وقد وصل الأمر حد عقد مشابهة بين "التحليل الصوفي للنصوص وتأويلها وبين القراءة الحداثية للنصوص، التي تطمح إلى مقاربة النص استنادا إلى شفرات، القراءة الصوفية والحامل السيميائي، لهذه الشفرات /التأويل". إذا فهناك وجود مقاربة بين القراءة الصوفية والقراءة السيميائية، من حيث التقائهما في هذه الشفرات، التي تعد نقطة وصل بين القراءة التراثية والقراءة الحداثية من حيث اعتمادهما التأويل.

Résumé: La sémiotique essaie de lire ou de comparer les textes littéraires en révélant manifestations ainsi que les structurées qui sous-tendent ce qui donne la dimension sémantique du texte, qui contient le sens indicatif et signifiant à l'imaginaires, Il est arrivé de faire une comparaison entre l'analyse mystique des textes qui se base sur l'interprétation et l'analyse moderniste des textes qui aspire à approcher le texte sur l'âme soufie de la lecture et la sémiotique qui prévoie ces code et les interprète.

Alors on peut dire qu'il ya une similarité des codes une lecture soufie et une lecture sémiotique, car elles sont basées sur des codes qui font un point de lien entre la lecture classique et la lecture moderniste en termes de l'interprétation adoptée

1- البنية السطحية:

1-1- تحديد المسارات والبرامج السرية:

سيتم التطرق إلى تحديد المسارات السردية الموجودة في ترجمان ابن عربي، وعليه يجب تحديد هذا المصطلح؛ فالمصطلح السردي Narratif Parcours هو مصطلح سيميائي يستعمل للدلالة على سلسلة البرامج السردية البسيطة والمعقدة، التي تهتم بدراسة نتائج الحالات والتحولات المتسلسلة على أساس العلاقة بين الفعل والموضوع وتحولها[1] بحيث سيتم تحديد الفاعل والوضعية التي سيتخذها، وذلك من خلال علاقته بمواضيع القيمة التي سيكون في وصلة معها أو فصلة عنها، وسيتبين هذا من خلال النماذج التي سيتم طرحها، يقول ابن عربي في إحدى قصائده، أين كان يخاطب خلانه ومن ثم الريح[2]:

يا خليلي قفا واستنطقا رسم دار بعدهم قد خربا
واندبا قلب فتى فارقه يوم بانوا، وابكيا وانتحبا
علّه يخبر حيث يمموا ألجرعاء الحمى، أو لقبا

يبين المقطع الأول وجود خط تواصلي بين المرسل "ابن عربي" وبين المرسل إليه "الخليلين" اللذين يعدان فاعلين، أما موضوع القيمة فهي "القلوب"، التي غادرت أصحابها لتلحق بحضرة الحق فأردت أصحابها محزونين لا يعرفون أي اتجاه أخذت وأصبحت في فصلة عنها.

تحديد الفاعل والموضوع:

مرسل ← مرسل إليه

ابن عربي — الموضوع (تحديد مكان القلب) — الخليلين (العقل والإيمان)

المقطع الثاني[3]**:**

أي ريح نسمت ناديتها — يا شمال، يا جنوب، يا صبا
هل لديكم خبر مما بنا — قد لقينا من نواهم نصبا

تحديد الموضوع:

مرسل ← مرسل إليه

ابن عربي — الموضوع (الحب) — ريح الشمال، ريح الجنوب ريح الصبا

يوجه الشاعر خطابه إلى الرياح (الشمال، الجنوب، والصبا) منفسا عما حل به من كرب لمفارقته محبوبه أو لعدم معرفته مكانه، فالشاعر لا يزال في فصلة عن موضوع القيمة.

المقطع الثالث:

أسندت ريح الصبا أخبارها — عن نبات الشيح عن زهر الربى
إن من أمرضه داء الهوى — فليعلل بأحاديث الحبا
ثم قالت: يا شمال خبري — مثل ما خبرته أو أعجبا
ثم أنت يا جنوب حدثي — مثل ما حدثته أو أعذبا
قالت: الشمال عندي فرج — شاركت فيه الشمال الأزيبا
كل سوء في هواهم حسنا — وعذاب برضاهم عذبا

تحديد الفاعل والموضوع:

مرسل ← مرسل إليه

ريح الشمال — الموضوع — ابن عربي
ريح الجنوب
ريح الصبا

ويمكن تحويل أشواق ابن عربي إلى موضوع يكون فيه ابن عربي هو المرسل، ويكون الله سبحانه وتعالى مرسلا إ ليه.

مرسل ← مرسل إليه

ابن عربي — الموضوع (الأشواق) — الذات الإلاهية

وكذا يمكن أ ن يعد ديوان "ترجمان الأشواق" موضوعا يكون فيه ابن عربي هو المرسل والقارئ مرسلا إليه، وبالتالي فهو أمام رسالة "Message" منغلقة وعليه هو فك مغاليقها، لأنها محكومة بشفرة لها قوانينها وعليه أن يكون ذو كفاءة تمكنه من فكها، مع احتمال وجود إمكانية التأويل، التي تختلف من مجموعة لأخرى قصد إبراز آلية النص في خلق المعنى وتبليغ صداه(4)، مستندين في ذلك إلى شبكة العلاقات التي تحكم نسيجه.

يسند التحليل السيميائي للنصوص الأدبية إلى مجموعة من البرامج السردية Programmes Narratifs التي تعنى بتتبع الحالات والتحولات المتواجدة داخل الخطاب والمساهمة في إنتاج المعنى، وتعد العلاقة القائمة بين الفاعل والموضوع هي الأساس، فبناء عليها يحدث الانفصال أو الاتصال، وبالتالي يقع التحول وتتغير الحال مما كانت عليه إلى حال أخرى هي كالتالي:

حالة فصل (الذات الفاعلة ∨ الموضوع) ←(التحول)← حالة وصل (الذات الفاعلة ∧ الموضوع)

يقول ابن عربي[5]:

من كل فاتكة الألحاظ مالكةٍ تخالها فوق عرش الدر بلقيسا

ويقول كذلك[6]:

ناديت، إذ رحلت للبين ناقتها يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا

حالة وصل (ابن عربي ∧ الحكم العلوية) ←(التحول)← حالة فصل (ابن عربي ∨ الحكم العلوية)

حالات الفصل ←(الرحيل)← حالات الوصل

(ابن عربي ∨ مقام الجمع) ← (ابن عربي ∧ مقام الجمع)

(ابن عربي ∨ الحقائق الإلهية) ← (ابن عربي ∧ الحقائق الإلهية)

لقد كان قلب ابن عربي كالليباب إلى أن حصل العلوم والمعارف وارتقى في المقامات ليصل إلى مقام الجمع فذلك عيده وموسمه، فهو القائل[7]:

فإن بها من قد علمت، ومن لهم صيامي وحجي واعتماري وموسمي

فالجمع ما تعلق بالحق يشهد العبد ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه، فهو شاهد جمع وكذلك من يصغي سره إلى ما يناجيه به مولاه، واستمع بقلبه إلى ما يخاطبه به فيما ناداه

أو ناجاه أو عرف معناه أو لوح قلبه أراه فهو لك شاهد جمع[8]، لذلك كنى عنه بالعيد لأنه على اتصال بالمحبوب الأزلي، وبالتالي فإن قلبه بصدد تقبل ما يصدر عن هذه الذات العلية من حقائق وعلوم إلهية، ويقول في موضع آخر[9]:

غادروني بالأثيل والنقا أسكب الدمع، وأشكو الحرقا
بأبي من ذبت فيه كمدا بأبي من مت منه فرقا

حالة الوصل (ابن عربي ∧ العالم الروحاني الملكي) ←———— حالة الفصل (ابن عربي ∨ العالم الروحاني الملكي)

لقد كان ابن عربي يعيش حالة من الرضا والأنس، لأنه كان برفقة جلساء من العلم الروحاني الملكي ومغادرتهم له جعلته يسكب الدمع ويشكو حرقه الاشتياق، لأنهم تركوه بعالم الطبيعة يبث المعارف المتعلقة بالمناظر العلى لأبناء الجنس المحبوسين عن هذه الأذواق العلية ونيل ما ناله الرجل بصدق الأحوال، فابن عربي حزن على نفسه لفقده ما حازه في جلساته مع هؤلاء الرجال الصادقين العارفين، وحزين كذلك على من لم يذق مثل تلك المعارف التي حصلها هو، فيقول[10]:

من لي بمن لوجدي، دلني من لحزني، من لصبّ عشقا

فحالة الفصل هنا لا تزال مستمرة إذ أن الشاعر يلح في طلبها ويشكو حاله طالبا من يدله على مقام عشقه وهو مقام جمع الجمع والشهود[11]، أين ينفصل عن الخلق ويؤخذ بصفات الحق وكذلك بالكلية عن الإحساس بكل ما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة[12] التي تعني أن تشهد الحق سبحانه، وهذا أقصى ما يرجوه ابن عربي، إذ لا مزيد مع شهوده وينشد في مقام آخر هذه الأبيات[13]:

عسى نفحة من صبا حاجر تسوق إلينا سحابا مطيرا
نروّي بها أنفسا قد ظمئن فما ازداد سحبك إلا نفورا
فيا راعي النجم كن لي نديما ويا ساهر البرق كن لي سميرا

تظهر حالة الفصل في الأبيات بين ابن عربي والعلوم الربانية والمعارف التي تتنزل من العالم العلوي الأقدس، ولكنها حائلة عنه بحجاب أعظم هو حجاب العزة، الذي تأتي منه نفحات تكون محملة بتلك المعارف والعلوم، التي يرجو ابن عربي لتروي قلبه الظمآن ولكنها – العلوم والمعارف – بعيدة عنه، بدليل قوله "فما ازداد سحبك إلا نفورا" لكون هذا المقام عال لا يمكن الوصول إليه ولا الإحاطة به، لما يمتاز به من عظمة وتقديس ونزاهة ومما يلاحظ هنا أن حالة الفصل هذه يصاحبها تحول لعدم حصول إمكانية التحول من حالة إلى أخرى؛ لأن

المقام الذي أراد ابن عربي الوصول إليه صعب، لكونه محاط بحجاب متين وهو حجاب العزة ومثل هذه الحالة واردة في ديوان ابن عربي، إذ يقول[14]:

فانهض إليهم طالبا آثارهم ** وارقل بعيسك نحوهم إرقالا
فإذا وقفت على معالم حاجر ** وقطعت أغوارا بها وجبالا
قربت منازلهم، ولاحت نارهم ** نارا قد اشعلت الهوى إشعالا

إن الموضوع المستهدف في الأبيات هو اتصال ابن عربي بمقام هو عنه بعيد ألا وهو مقام الأنبياء العارفين، الذي كنى عنهم بالأحبة في قوله "أين الأحبة، أين سارت عيسهم"، إذ يحاول أن يقتفي أثرهم لعدم اتصافه بما يتصف به النبي، ولو حدث واقترب العارف من هذا المقام، فإنه سيصاب بلفحات تحرق وجهه إحراقا، فالهمة لا تعجز عن الطلب والتعلق، فما كل ما يتمناه العارف يدركه، إنما المقامات مقدرة.

إذن فحالة الفصل هذه (ابن عربي ∨ مقام النبوة) لا وصل لها رغم مزاحمة الفاعل نفسه، إلا أن الموضوع المستهدف ممنوع ولا يمكن نيله، إذا إن الطالب في حالة فقدان لصفات هذا المقام، يقول ابن عربي في آخر[15]:

يا طللا عند الأثيل دارسا لا عبث فيه خردا أوانسا
بالأمس كان مؤنسا وضاحكا واليوم أضحى موحشا وعابسا

يتحقق البرنامج السردي هنا من خلال وجود حالتين متباينتين هما: حالة وصل وأخرى حالة فصل، بحيث يمتلك الفاعل /ابن عربي/ الحكم الإلهية، ثم بفقده، فالشاعر كان في وصلة مع تلك الحكم التي أنارت قلبه وآنسته مما حصلته من معارف وعلوم فكان في حالة امتلاك، إلا أنها آلت إلى حالة من الفقد، بحيث انفصل ابن عربي /الفاعل عن الموضوع/ الحكم العلوية، وبهذا انفصل عن عالم البقاء، الذي هو العالم الأعلى ليتصل بعالم الضيق الذي حال بينه وبين ما كان يناله من تلك النفحات الروحانية المتأتية منه.

الوضعية التي كان عليها ابن عربي:

(ابن عربي ∧ الحكم الإلهية ∧ العالم الأعلى ∧ عالم البقاء) ⟵ (ابن عربي ∨ عالم الضيق ∨ العالم الأرضي)

2-عوامل النص:

من خلال البرنامج السردي يمكن تحديد عوامل النص انطلاقا من تحديد لموضوع القيمة وتحقيقه له وعوامل النص هي وحدته المميزة[16] (Unités Discrètes) المنتظمة في إطار محور توزيعي يحدد العلاقات بينها، وهذه العوامل هي:

المرسل	← (D)	Destinateur
المرسل إليه	← (DE)	Destinataire
الموضوع	← (O)	Objet
الذات	← (S)	Sujet
المساعد	← (A)	Adjuvant
المعارض	← (Op)	Opposant

إن ما يعينه العامل (actant) هو الذي يقوم بالفعل أو يتلقاه، ويشمل الكائنات الحية سواء كانت إنسانية أو حيوانية، وكذا المواضيع والمفاهيم والأشياء على حد تعبير تينيير "الكائنات والأشياء التي في العملية"[17]، والعامل يعد نموذجا لوحدة تركيبية ذات طابع شكلي خالص[18]، وهو تصور خاص للتركيب الذي يقسم الملفوظ الأولي إلى وظائف كالفاعل والموضوع وغيره. وتنتظم هذه العوامل في إطار محور توزيعي تنظم من خلاله العلاقات التي تربط هذه العوامل بعضها بعض، ويقوم النموذج العاملي بدراستها من حيث هو "نظام خاضع لعلاقات قارة بين العوامل من حيث هو صيرورة قائمة على تحويلات متتالية"[19]، فالأفعال تتغير وتتوالى، وبالتالي فإن من يقوم بالفعل سيتغير.

المرسل ← الموضوع ← المرسل إ ليه

المساعد ← الذات ← المعارض

يتأسس النموذج العاملي انطلاقا من ستة عوامل تعد ركائز أساسية تجمعها علاقات متعددة سنحاول تبينها فيما سيأتي:

المرسل/المرسل إليه:

تعد هاتان الوحدتان ركائز في النموذج العاملي وتتحدد علاقتهما انطلاقا من الموضوع الذي يكون محور القيمة، وتتراوح مكانة كل منهما انطلاقا من الدور الذي تؤديانه، فقد تكون العلاقة متصورة انطلاقا من منظور المرسل أو من منظور المرسل إليه، فهي تتدرج حسب خصوصية كل وحدة، فهما إذا منتظمتان في سلم تراتبي يكون فيه المرسل في الدرجة الأولى بحكم أنه المصدر للأمر أو للفعل، ويقوم المرسل إ ليه بعملية التلقي، إذا فما يجري بينهما هي عملية تبليغ، ويقول "غريماس" بأن العلاقة القائمة بين هاتين الوحدتين هي "علاقة الكل بالجزء" في حين أن العلاقة القائمة بين المرسل إليه تسير في الاتجاه المعاكس بحيث تكون علاقة الجزء بالكل[20].

المرسل ←	الموضوع ←	المرسل إليه
ابن عربي	الرؤية	الحق سبحانه وتعالى
الذات البشرية	التوحيد	الذات الإلهية
المحب	الوصال	المحبوب

الذات/ الموضوع:

تعد العلاقة القائمة بين الذات (S) والموضوع (O) محورية في النموذج العاملي، إذا أنها محملة بالشحنة الدلالية الكامنة في الرغبة(21) التي هي محور الموضوع وتكون الذات الفاعل راغبا فيها، والعلاقة القائمة بينهما علاقة استتباعية (22)Implication، بل أكثر من ذلك إنها تعالقية، إذ إن وجود كل واحد منهما مرتبط بوجود الآخر، إلا أن الفاعل متحرك والموضوع ثابت لا يتغير مع عدم وجود حتمية أن يقتصر الفاعل على كونه ذات إنسانية أو الموضوع على كونه شيئا أو جمادا، وإنما هما عوامل تتحدد وضعية كل منهما انطلاقا من ملفوظ الحالة énonce d'étatالذي يتخذ مظهرين:

الانفصال: الذي يكون بين الذات والموضوع أو الاتصال: عندما يكون هناك ما يصل بين الموضوع والذات.

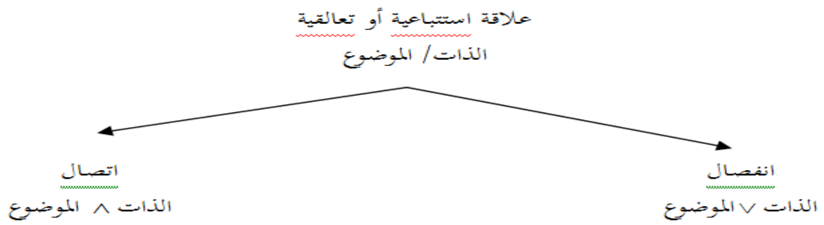

تتراوح العلاقة بين ابن عربي/ الذات والموضوع الواردات والحكم والعلوم الربانية بين اتصال وانفصال، فهو ما لم يلبث أن يحدث الفصل إلا ويعقبه الوصل، وهذه هي أحوال الصوفي فقد ومنح، وهذا ما يلاحظ تكرارا على مدار الديوان، يقول ابن عربي[23]:

من لي بمخضوبةِ البنان، من لي بمعسولةِ اللسان
من كاعباتٍ ذواتِ خدرٍ، نواعمٍ خردٍ حسان
دورٍ تمعلى غصون هن من النقص في أمان
بروضةٍ من ديار جسمي، حمامة فوق غصن بان
تموت شوقا تذوب عشقا، لما دهاها الذي دهاني

قلب إلـــ فاتنم دهـرا، رماها قصدا بما رماني
فـــراق جـــارونـأي دار، فـــيا زمـاني على زماني
من لي بمن يرتضى عذابي، ما لي بما يرتضي يدان

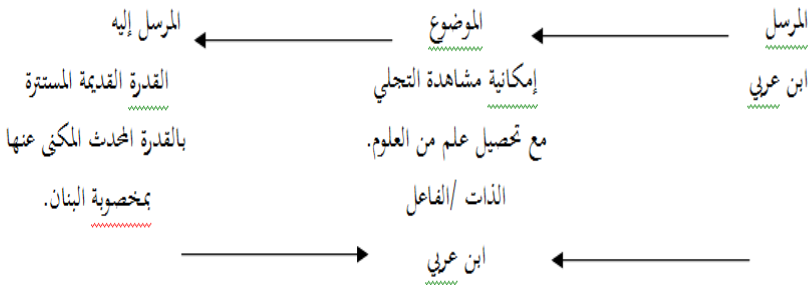

يبدو من خلال هذا النموذج غير المكتمل أن من يقوم بالفعل واحد وهو ابن عربي. حيث تعددت أدواره: دور عاملي (مرسل) ودور عاملي آخر (الذات)، إذ يحاول ابن عربي أن يحصل بعضا من العلوم المستترة بفعل (الموضوع)، ولكنه لا يقدر على ذلك لأن ما يطلبه مقام الكمال والتمام (بدور تم... هن من النقص في أمان) وهي في روضه منفردة في صفتها منزهة عن الاشتراك أو الاختلاط بها، إذ لا يجب أن يمازجها شيء، وبالتالي فإن ملفوظ الحالة سيكون على أساس وجود عملية انفصال بين الموضوع، وهذا ما يحيل إلى وجود فقد وافتقار.

هناك عاملان آخران يساهمان في بناء هذا النموذج، ويكمن دورهما، إما في تسهيل سد عملية الافتقار وتذليل المصاعب أمام الذات أو في زيادة عرقلة مهمة الذات في الاتصال بالموضوع، وهما:

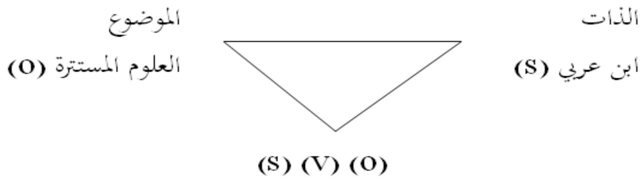

المساعد/المعارض:

إن العلاقة القائمة بين هذين العاملين هي علاقة صراع وتصادم، فكل منهما يحاول أن يوجه دوره تجاه الذات: الأول بالمساعدة والعون في تحقيق رغبتها، والثاني بالإعاقة وخلق الصعوبات للحيلولة دون تحقيق ما تصبو إليه من بلوغ الموضوع، ومن هنا سيتخذ النموذج العاملي شكله النهائي:

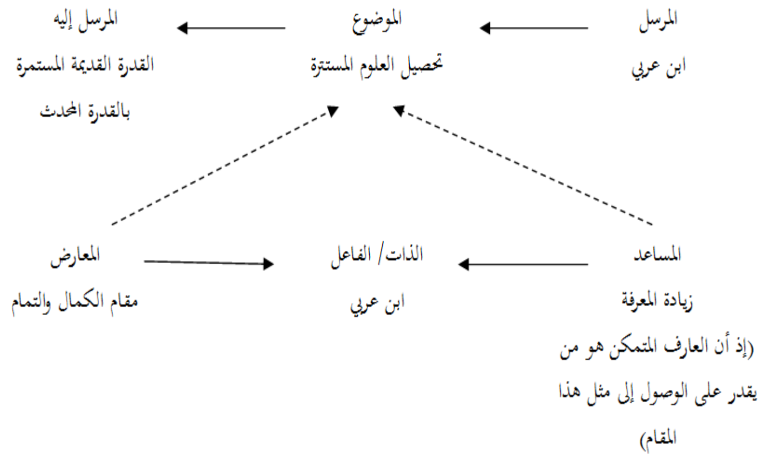

3-الأبنية السردية: يرمي مصطلح السردية (Narrativitée) إلى التميز بين نوعين من الخطاب هما الخطاب السردي وغير السردي، إذ تعدو مشروعا تنتظم من خلاله الدلالة في الخطابات وإنتاج المعنى في النص يكون من خلال علاقة ظاهرة أو مضمرة فيه(24)، ويجعل غريماس من العملية السردية نظاما حسابيا(25)، استنادا إلى العمليات التي تتم على صعيد المستوى العميق والنص في مجمله قائم على نسيج من النظم والمستويات المختلفة.

يتراوح المستوى الزماني في الترجمان بين ماض عاشه الشاعر في أنس، لما حصله من علوم ومعارف عند اتصاله بمواضيع القيمة: الواردات الإلهية والعلوم العلوية اللدنية ودنوه من ذلك العالم أين تحدث المشاهدة، وبين حاضر موحش انفصل فيه الشاعر عن هذه المواضيع فأضحى مهموما محزونا.

أما المستوى المكاني فقد تنوعت مظاهره وتعددت، إذ نجد الشاعر يعدد الأماكن بحسب الأهمية التي تكتسبها عنده، وسيتضح ذلك من خلال ما سيأتي:

المكان	دلالته اللغوية	دلالته في النص	دلالته المؤولة
الطلل	المكان الشاخصة آثاره	مكان هجره الأحبة فصار مقفرا	التغير الذي يطرأ على الصوفي
فارس	بلاد أعجمية تقع شمال الجزيرة العربية	البلاد التي تنتمي إليها النظام	تدل على الأصل، إذ لا يمكن في الأصل تبين مكان عزته سبحانه وتعالى
العراق	أقيمت عليها الدولة العباسية	البلاد التي تسكنها المحبوبة حاضرة العالم والعلماء	تدل على أصل المعرفة والعلوم
اليمن	تقع جنوب شبه الجزيرة العربية	أصل الشاعر	تدل على الإيمان والحكمة
المنازل والديار	هي المكان الذي يسكنه الفرد	أماكن وجود الأحبة	تدل على المقامات التي سلكها العارف

تتحول هذه السمات من معان حقيقية إلى معان مؤولة بفعل القراءة، ولنضرب لذلك مثلا: العراق وفارس واليمن كلها بلدان لها وجود عيني، وتتموقع في جهة واحدة فارس في الشمال والعراق في جنوبها واليمن جنوبهما، ولكن الشاعر اتخذ لها معان أخرى، ففارس المكان الأصلي الذي قدمت منه المحبوبة سكنت العراق ونهلت من علومها فصارت من الأئمة والعلماء، واليمن أصل الشاعر، يقول[26]:

طال شـــوقي لطفلـــةٍ ذاتِ نثـرٍ   ونـظامٍ ومنبــرٍ وبــيان
من بناتِ الملوك من دار فـــرس،   من أجل البلادِ من أصبهان
هي بنت العــراق بنت إمـــامي،   وأنـــا ضـــدها سليل يماني
هل رأيتم يا سادتي، أو سمعتم   أن ضـــدين قط يجتمعان

يشكو الشاعر شوقه إلى معرفة في مقام عال لا يمكن له أن يناله، لما تتسم به من الأصالة والشرف، فهي إذن محبوبة إذ لها الجفاء والبعد والغلظة والقهر، وأنا محب فمني النصر والإيمان والرقة واللطافة استعطافا لرضى المحبوبة واستلطافا به[27]، إذ لابد من المجاهدة والإرادة لتحصيل مثل تلك المعارف اللدنية المحجوبة بحجاب العزة والكبرياء، أما الشخصيات الفاعلة هنا، هي:

ابن عربي: التي تتراوح مكانته بين مرسل وذات فاعلة ومرسل إليه.

النظام: موضوع القيمة وكذا المساعد.

الحادي: الذي يأتي على ذكره ابن عربي كثيرا ويأخذ دور المراسل إليه، ولنقسم هذه الشخصيات حسب ما يأتي:

الشخصية الرئيسية (المركز)	الشخصية المساعدة	الشخصية الفاعلة
ابن عربي	الحادي	النظام

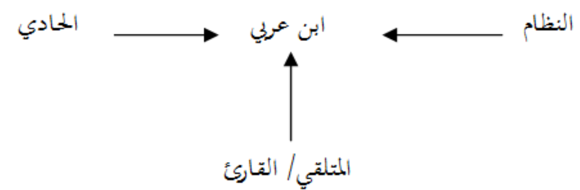

تكمن أهمية المتلقي من خلال هذا الرسم في إنتاجه للدلالة واستنباطه للمعاني الخفية ومحاولة الكشف عن الباطن المتخفي وراء الظاهر، الذي يمكن أن يعد أرضية ينطلق منها النص وتأويله تأويلات مختلفة.

البنية العميقة:

1-التمفصلات الدلالية: يعد السيم séme أصغر الوحدات المعنوية المكونة للخطاب، لا يتحدد وجود إلا من خلال علاقته بالعناصر الأخرى، ولن يتحقق إلا خارج وحدة أشمل(28)، فلو أخذنا مثال "الغراب" و"الحمام" الذي جاء ابن عربي على ذكرهما في ترجمانه، لوجد هناك سماك ثابتة وأخرى متغيرة، ستتضح من خلال هذا الجدول:

	حيوان	طائر	محبوب	منبوذ	بشير	نذير	معنى إيجابي	معنى سلبي
الغراب	+	+	-	+	-	+	-	+
الحمام	+	+	+	-	+	-	+	-

يشترك السيم الذي يحمله كل من حمام /غراب في أنهما ينتميان إلى فئة الحيوانات الطائرة، اللذان يرتبطان بشكل أو بآخر بالإنسان/ الشاعر، فابن عربي مثلا لا يريد أن يكون للغراب مكان بينه وبين من يحب، حيث يقول:

ما للغراب نعيق في منازلنا وما له في نظام الشمل من ندب(29)

فالغراب حينما ينعق لا يرجى من ورائه خير، لأنه يؤذن بشتات شمل الأحبة وقرب البين فيما بينهم، فنجده يدعو "لا رعى الله غرابا نعقا"؛ أي لا يبقي الله أي غراب ينذر بالفرقة، في حين جاء توظيف الحمام للدلالة على التفاؤل والخير، بما قد يحمله من أخبار للأحبة أو من علوم ربانية تتنزل على قلب الصوفي/الشاعر، فتجعل منه رياضا أو من أرواح برزخية تحمل معها الوحي فيغيب القلب ويفنى عن نفسه(30)، ففي الفناء طرح للصفات المذمومة وبقاء لصفات محمودة، في هذا يقول ابن عربي:

لهف نفسي، لهف نفسي لفتى كل ما غنى حمام غيبا[31]

من هنا يتضح أن هناك ترابطا بين السيم séme الذي يحمل كل من حمام /غراب، وذلك من خلال القاسم المشترك الذي يجمعهما، في حين يتمايزان في بعض الصفات الخاصة، فالفوارق لا تكون على مستوى السمات، بل إنها ستنسحب إلى المعنى، أين ستحدث آثارا تجعل علاقة هذا السيم تتحدد بالنظر إلى العناصر الفوقية، وكذا الحدود الرئيسية المميزة للسيم المتمثلة في الوظيفة الخلافية(32)، بل إن الدلالة لا يمكن أن تقوم إلا من خلال تلك الشبكة، وهذه الوظيفة وفق علاقات تقابلية تضادية، أي أن نقابل بين الحمام/عكس/الغراب/ولفظة "عكس" تعني التقابل والاختلاف:

ويمكن كذلك مقابلة/أبيض/عكس/أسود/ يشتركان في اللون ويختلفان في الدلالة:

س=لون الحمام عكس الغراب

س1 عكس س2

فبالأضداد تدرك المعاني ولعل هذا ما يظهر من خلال الصور الموظفة في الديوان على نحو: "الحزن"و"الفرح"، "البين"و"الوصل" وصور كثيرة ستتضح أكثر من خلال الجدول، الذي سيبين كيف تدرك الدلالة من الاختلاف وتنتج من الضد:

الصور	حالة إنسانية	شعور	تحدث للذات	قد تقع بفعل الآخر	قيمة إيجابية	قيمة سلبية
الحزن	+	+	+	+	−	+
الفرح	+	+	+	+	+	−

يشترك هذا السيم الذي تحمله صورتي "الحزن"و "الفرح" في أنهما يحيلان على حالة إنسانية وشعور داخلي، يحدث للذات سواء كان فعلا جوانيا صادرا منها أو واقعا عليها بفعل الآخر، ولكنهما يختلفان في القيمة المتضمنة في كليهما "فالفرح" يحمل قيمة إيجابية تكمن في تحقيق ما يريده الصوفي من وصل و اتصال بالمحبوب الأزلي، في حين تحمل صورة "الحزن" قيمة سلبية وهي ما يعتري الصوفي من فقد، حيث يقول ابن عربي:

طارحتها ثكلا بفقد وحيدها والثكل من فقد الوحيد يكون

طارحتها، والشجو يمشي بيننا فما إن تبين، إنني لأبين

يكمن حزن الشاعر/الصوفي في فقده للمعرفة، التي كان يحوزها، حيث يحاول جاهدا تبينها ولكنها تتمنع وتبين عنه.

تعد صورة الحزن/الفرح كنواة ثابتة تتقارب أو تتباعد وفقا لمجموعة من الحدود فإن كانت صورة "الحزن" تتقارب مع صورة "الفرح" من خلال حدود/الحالة الإنسانية/والشعور فإنها قد تتباعد وتختلف عنها من خلال حد/الخوف/عكس الأمل/أو/التشاؤم/عكس التفاؤل/، الماضي/عكس/الحاضر/، ومن هنا يمكن تحديد التركيب السيمي وفقا لما يلي:

الحزن=/حالة إنسانية/+/شعور/+/خوف/+/تشاؤم/+/حاضر/

الفرح=/حالة إنسانية/+/شعور/+/أمل/+/تفاؤل/+/ماضي/

إذن فالحدود الفارقة هي التي تحدث آثار في المعنى وبالتالي تقوم بإنتاج الدلالة.

2-المربع السيميائي: يهدف المربع السيميائي carré sémiotique الذي أشار إليه غريماس في أبحاثه، إلى التمثيل المرئي للتمفصل المنطقي لأية مقولة دلالية، وذلك بإبراز جملة العلاقات التي يخضع لها والمساهمة في إنتاج الدلالة، وهو يأخذ الشكل الآتي:

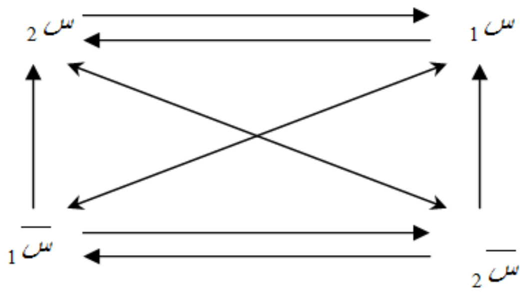

تمثل العناصر س1س2، س̅1س̅2 المواقع التي تحتلها، الوحدات الصغرى، على نحو: /ظهور/عكس/اختفاء/ في ترجمان الأشواق، وهذان السيمان يساعدان على تنظيم الدلالة وترتيب الصور في الديوان وفق مجموعة من العلاقات والعمليات، التي يقوم المربع السيميائي بتنظيمها.

- **علاقة التناقض:** توجد بين العنصرين س1و س̅1 (س1 ↔ س̅1) بحيث يكون س̅1 نقيضا لـ س1، أما العملية التي تتم على مستوى هذه العلاقة فهي عملية النفي، أي أن يقوم عنصر بنفي عنصر لإثبات العنصر الثاني.

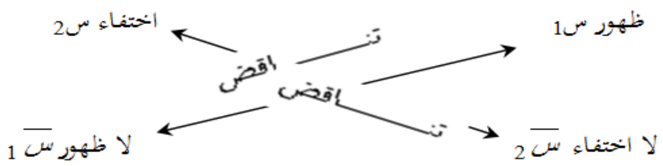

- **علاقة التضاد:** توجد بين العنصرين س1وس2 (س1 ⇄ س2)، بحيث يكون س2 متنافرا مع س1، ولا يمكن أن يتحقق إلا بوصفة ضدا لـ س1 والعكس كذلك.

ظهور س1 ⇄ إخفاء س2

- علاقة التضاد التفي: توجد بين العنصرين س̅1 س̅2 وهي مشابهة لعلاقة التضاد.

لا اختفاء س̅2 ⇄ لا ظهور س̅1

-**علاقة التضمين:** توجد بين س̅2 وس1(س̅2 ← س1) وبين س̅1 وس2 (س̅2 ← س1)، بحيث إذا قمنا بنفي أحد العنصرين س̅2 وس1، فإنه سيتم إثبات العنصرين الآخرين (س1 ← س2) أما العملية التي تتم على هذا المستوى فهي عملية الانتقاء، وذلك بالانتقال من العنصرين

$\overline{س}$ 2 وس1 من أجل إبرازهما بحكم أن كلاهما ضد الآخر، فالعملية تكون بانتقاء وإبراز العنصر $\overline{س}$ 2 انطلاقا من س1 باعتباره ضد لـ س1.

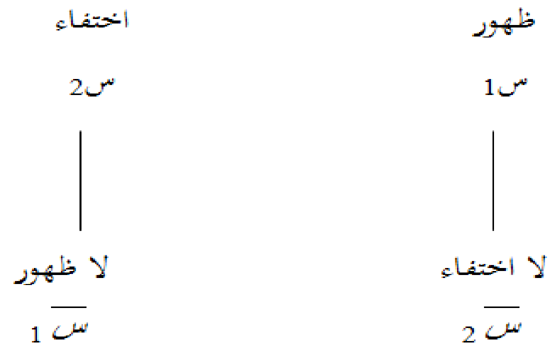

(الظهور//الاختفاء) هي ثنائية موجودة في الديوان، يقصد منها الواردات التي تتنزل على الصوفي /ابن عربي، وهي واردات التقديس والتنزيه سريعة الاختفاء والزوال، لذلك يحزن ابن عربي لفقدها ويضحى في شوق إليها حتى تعود إليه، إذا فستصبح العلاقات كالآتي:

- علاقة التضاد بين/الظهور/عكس/الاختفاء/ تنتج حالة من الشوق تنتاب ابن عربي.
- علاقة التضمين بين ظهور/و/الاختفاء/ تنتج حالة الرضى يعيشها ابن عربي لفترات معينة.
- علاقة التناقض بين كل من الظهور/عكس/الاختفاء/ تجعل ابن عربي في حالة ترقب وحيرة.

وبالتالي سيأخذ المربع السيميائي شكله النهائي وهو كما سيأتي:

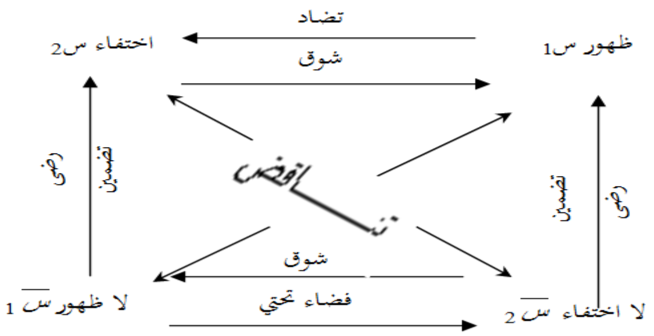

بناء على هذا يمكن القول: أن المربع السيميائي كميكانيزم، يعني كمجموعة من العلاقات المبرمة للتمفصلات الدلالية، التي بواسطتها يمكن إقامة وترتيب العناصر كلها، بحيث تحكم العلاقات تجليات المعنى في النص وكذلك كيفية تشكله.

لا تعد ثنائية (الظهور/الاختفاء) الوحيدة في الديوان، بل تطالعنا مجموعة من الثنائيات، قد تكون تلك الثنائية طرفا من أطرافها بشكل أو بآخر، وهذه الثنائيات على سبيل المثال لا الحصر هي: (الحياة/الموت)، (الفناء/البقاء)، (التجلي/الستر)... ولكن كيف تكون ثنائية (الظهور/الاختفاء) طرفا في تلك الثنائيات؟ سيكون الجواب كالآتي:

في الظهور	حياة	بقاء	تجل
في الاختفاء	موت	فناء	ستر

ولكن تجدر الإشارة إلى أنه يمكن وقوع العكس، لكون الخطاب الصوفي خطاب غير مألوف ولا يخضع لسلطة العقل والمنطق.

مراجع البحث وإحالاته:

1 - ينظر، رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2000، ص ص 127-148.

2- ابن عربي، ترجمان الأشواق، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص ص 130 – 131.

3- المصدر نفسه، ص:145

4- محمد ناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1993، ص 30.

5- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 15.

6- المصدر نفسه، ص 18.

7- المصدر نفسه، ص20.

8- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشرية، في علم للتصوف، تحقيق، معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2003، ص65.

9- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 75.

10- المصدر نفسه ، ص 58.

11- المصدر نفسه (في الحاشية)، ص 58.

12- أبو القاسم القشري، الرسالة القشرية في علم التصوف، ص 65.

13- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص ص 65 – 66.

14- المصدر نفسه، ص 73.

15- المصدر نفسه، ص 75.

16- محمد ناصر العجمي، في الخطاب السردي، ص 37.

Tesnire, Eléments de syrataxe structurale, Klimcrsier, Paris, 1969, P105. -17

18- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 15.

19- محمد ناصر العجمي، في الخطاب السردي، ص 38.

20- المرجع نفسه، ص 43.

A.J. Greimas, Sémantique structurale, ed, Larousse, Paris, P 176. -21

22- محمد ناصر العجمي، في الخطاب السردي، ص 40.

23- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص ص 176 – 177.

24- آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، ط1، 2010، ص 147.

25- محمد ناصر العجيمي، في الخطاب السردي، ص 114.

26- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص ص 73-74.

27- المصدر نفسه (في الحاشية)، ص 73.

28- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 167.

29- ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 170.

30- المصدر نفسه (في الحاشية)، ص 170.

31- المصدر نفسه، ص 138.

32- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل الخطاب السيميائي للنصوص، ص 169.